التمهيد

أولاً – سيرة الخليل بن أحمد الفراهيدي

1–اسمه ونسبه .

2–مولده ونشأته

3–أهم مصنّفاته .

4–وصف الكتاب ونسبته إلى الخليل.

5–وفاته .

ثانياً – الشّاهد الشّعري

1–تمهيد

2–الشّاهد في اللغةِ والاصطلاح .

3–معنى الاحتجاج .

4–نشأةُ مصطلحِ الشّاهد .

5–مصادرُ الشّعر المُحتَج به .

أولاً . سيرة الخليل بن أحمد الفراهيدي

1-اسمه ونسبهُ :

"هو أبو عبدالرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، ولم يسمّ أحدٌ بأحمدَ بعد رسول الله . صلّى اللهُ عليه وسلمَ . قبل والد الخليل "[1] ، وهو عالم العربية والعَروض وكان من الزهّاد في الدنيا ، والمنقطعين إلى العلم [2] .

" والفَرَاهِيْدي بفتح الفاء والرّاء وبعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة – هذه النسبة إلى فراهيد ، وهي بطن من الأزد والفرهودي واحدها ، والفرهود : ولد الأسد بلغة أزد شنوءة ، وقيل: إنّ الفراهيدَ صغارُ الغنمِ ، واليحمدي بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة نسبة إلى يحمد ، وهو أيضاً : بطن من الأزد ، خرج منه خلق كثير " [3] .

2-مولده ونشأته : وُلِد رحمه الله تعالى سنة مائة للهجرة في البصرة [4] ، كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه وهو أول من استخرج العَروض وحصر أشعار العرب بها وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة ، وكان من الزهّاد في الدنيا والمنقطعين إلى العلم ويُروى عنه أنّه قال: إن لم تكن هذه الطائفة يعني : أهل العلم أولياء لله فليس لله ولي " [5] .

1-طبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن بن عبيد الله الزّبيدي الأندلسي ، تحقيق : محمد أبزالفضل إبراهيم ، دار المعارف ، بلا تأريخ نشر ، ط 2 : 47 .

2-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، لبنان / صيدا ، بلا تأريخ نشر ، بلا رقم طبعة : 1 / 558 .

3- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق : إحسان عبّاس ، دار صادر – بيروت ، 1900م ، بلا رقم طبعة : 2 / 248.

4- إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، ط1، 1406 هـ - 1982م : 1 /381 .

5- أخبار النحويين البصريين للحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد ، تحقيق : طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف ، الناشر: مصطفى البابي الحلبي ، 1373 هـ - 1966 م ، بلا رقم طبعة : 31 .

3-أهم مصنّفاته : للخليل من التصانيف : معاني الحروف ، جملة آلات العرب تفسير حروف اللغة ، كتاب العَروض ، النقط والشّكل ، النّغم كتاب **الجُمَل** مجال البحث والدراسة ، الشّواهد ، كتاب الإيقاع وغيرها من المصنّفات [1] .

اشتهر من مصنّفاته كتابُ العين ولم يُكمله وقيل أكمله النضر بن شميل ، وقيل أراد الليث إتمامه فسَمّى لسانَهُ الخليلَ فإذا قال أخبرني الخليلُ أراد به الخليلَ بن أحمد وإذا قال : قال الخليلُ فإنّهُ يعني به لسانَهُ فجاءَ في الكتابِ خللٌ لذلك [2] .

وَكَانَ -رَحِمَهُ اللهُ- مُفْرطَ الذَّكَاءِ ، أَقَامَ الخَلِيْلُ فِي خُصٍّ لَهُ بِالبَصْرَةِ ، لاَ يَقْدِرُ عَلَى فَلْسَيْنِ، وَتَلاَمِذتُهُ يَكسِبُوْنَ بِعِلْمِهِ الأَمْوَالَ، وَكَانَ كَثِيْراً مَا يُنشِدُ :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ * ذُخْراً يَكُوْنُ كَصَالِحِ الأَعْمَال**

وَكَانَ هُوَ وَيُوْنُس إِمَامَيْ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي العَرَبِيَّةِ، وَمَاتَ وَلَمْ يُتَمِّمْ كِتَابَ (العَيْنِ) وَلاَ هَذَّبَهُ، وَلَكِنَّ العُلَمَاءَ يَغرِفُوْنَ مِنْ بَحْرِهِ [3] .

كَانَ يَعْرِفُ عِلْمَ الإِيقَاعِ وَالنَّغَمِ ، فَفَتَحَ لَهُ ذَلِكَ عِلْمَ العَرُوضِ ، وَقِيْلَ: مَرَّ بِالصَّفَّارِيْنَ، فَأَخَذَهُ مِنْ وَقْعِ مِطْرَقَةٍ عَلَى طَسْتٍ ، وَهُوَ مَعْدُوْدٌ فِي الزُّهَّادِ ، كَانَ يَقُوْلُ : إِنِّيْ لأُغْلِقُ عَلَيَّ بَابِي فَمَا يُجَاوِزُهُ هَمِّي ، وَقَالَ : أَكمَلُ مَا يَكُوْنُ الإِنْسَانُ عَقْلاً وَذِهْناً عِنْدَ الأَرْبَعِيْنَ وَعَنْهُ قَالَ: لاَ يَعرِفُ الرَّجُلُ خَطَأَ مُعَلِّمِهِ حَتَّى يُجَالِسَ غَيْرَه [4] .

1-يُنظر بغية الوعاة للسيوطي:1 /557 .

2 - يُنظر البلغة فى تراجم أئمة النّحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق : محمد المصري جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت – 1407هـ ، ط 1 : 21 .

3 -يُنظر سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي ، مؤسسة الرسالة ، بلا رق طبعة بلا تأريخ نشر : 13 / 477 .

4 -يُنظر المصدر السابق : 13 /478 .

عاش فقيراً عفيفاً حتّى أنّه وجّه إليه ذات يوم سليمان بن علي من الأهواز وكان واليها يلتمس منه الشّخوص إليه وتأديب أولاده ويرغبه ، ويُقال إنّ الذي وجّه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب من أرض السّند يستدعيه إليه ، وكان بالبصرة فأخرجَ الخليلُ إلى رسول سليمانَ بن علي خبزاً يابساً وقال : ما عندي غيره وما دمت أجده فلا حاجة لي في سليمانَ فقال الرسول : فماذا أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أنّي عنك في سعة * وفي غنى غير أنّي لست ذا مال**

سخيٌّ بنفسي أنّي لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال**

والفقر في النفس لا في المال نعرفه ***ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وكان الخليل يقول الشّعر البيتين والثلاثة ونحوها في الآداب كمثل ما يُروى له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا**

لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا**

وممّا يُروى له في الزّهد قوله:

وقبلك داوى المريض الطبيب * فعاش المريض ومات الطبيب**

فكن مستعداً لداعي الفنى * فإنّ الذي هو آت قريب**

وكما سبقت الإشارة فالخليل أستاذ سيبويه وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكل ما قال سيبويه : وسألته أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل [1].

1- يُنظر : أخبار النّحْويين لأبي طاهرعبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ، تحقيق : فتحي مجدي السيد دار الصحابة للتراث ، طنطا ، 1410 هـ ، ط 1 : 5 .

4-وصف كتاب الجمل ونسبته :

كتاب الجمل في النحو لصاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي وشهرته : الخليل بن أحمد وحقّقه فخر الدين قباوة وقامت بنشره مؤسسة الرسالة في مدينة بيروت اللبنانية والطبعة الأولى التي بين أيدينا كانت سنة خمسٍ وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لسنة خمسٍ وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد ، ويتكوّن من جزءٍ واحدٍ فقط ويضمُّ الكتابُ ثلاثمائة وإحدى وعشرين صفحة ، وقسّم الخليل كتابه على مجموعةٍ من الأجزاء بدأها بوجوه النّصب واحتوى هذا الباب واحداً وخمسين وجهاً ، ثم وجوه الرّفع واحتوى بابُها على اثنين وعشرين وجهاً ، ثم يأتي بعد ذلك باب وجوه الجر أو الخفض وضمّ هذا الباب تسعة أوجهٍ فقط ، ثم كان باب وجوه الجزم الذي احتوى اثني عشر عنواناً ، ويُعد قسم وجوه الخفض أقلّ الأبواب من حيث شواهده الشعريّة وعدد العنوانات الجزئيّة التي اختارها صاحب الكتاب حيث لم تتعدّ التسعة كما سبق القول .

وقد بدأ الخليل كتابه بقوله : "هذا كتاب فيه جملة الإعراب إذ كان جميع النحو في الرفع والنصب والجر والجزم ، وقد ألفنا هذا الكتاب وجمعنا فيه جمل وجوه الرفع والنصب والجر والجزم وجمل الألفات واللامات والهاءات والتاءات والواوات وما يجري من اللام ألفات ، وبيّنا كل معنى في بابه باحتجاج من القرآن وشواهد من الشعر ، فمن عرف هذه الوجوه بعُد نظره فيما صنّفناه من مختصر النّحْو قبل هذا استغنى عن كثير من كتب النحو .ولا حول ولا قوة إلا بالله "[1].

والكتاب لم تقتصر مادته على ما أشرنا إليه فقط في هذه الأطروحة ولكن هناك أقسام أخرى أوردها الخليل مع شواهدها الشعريّة لم تكن من ضمن هذه الدراسة التي خُصّصت لأنواع الإعراب الأربعة المعروفة .

1- الجمل في النّحو للخليل : 33

إذ ضمّ كتابُ الخليلِ في صفحاته الأخيرة جُملَ الألفاتِ والهاءاتِ واللاماتِ والفاءات إلى غير ذلك من حروف العربية وتحدّث عليها الخليل مستدلاً على كلامه بالشّواهد الشعريّة كلما تسنّى له ذلك .

والملاحظ على كتاب الجمل خلوّه من التنسيق بين أبوابه فقد نجدُ عنواناً واحداً استشهد له الخليل بعدة أبياتٍ من الشعر ، بينما نجد عنواناً آخرَ يستشهد له ببيتٍ واحدٍ فقط بل قد خلت بعض الأبواب من أيّةِ شواهدَ شعريّةٍ وكان الكلام فيها مقتضباً ممّا ألقَى بظلاله على الكتاب .

وتجدر الإشارة هنا أن كثيراً من الأشعار التي استشهد بها الخليل في كتابه كان يكتنفها الغموض لعدم تطابقها أو توافقها مع الأبيات الشعريّة في مؤلفاتٍ ثانية كما أنّ لها أكثر من رواية في المصادر الأخرى ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ معظمها لم تكن مضبوطة الوزن الشعري أو الشّكل الإعرابي وهذا ربما مرجعه إلى النسّاخ والمؤلفين الذين جمعوا هذه الأشعار .

نسبة كتاب الجمل للخليل :

يُعدُّ اختلافُ نِسبة النصوص التراثية من الظواهر التيَ شغلت وتُشغل حيّزًا في قضايا التراث العربي ، فعلى الرّغمَ من الأهميَّة الكبرى في نسبة النصوص التراثيّة مهما كانت ، إلا أنّنا نجدُ كثيراً من المحقِّقين يتهاون عن قصد أو غير قصد في تحقيق النصوص التراثية ومدى مصداقية نسبتها إلى أصحابها ويعالجون هذا الأمر معالجةً دون المستوى ؛ إمَّا لقلَّة الوعي بالأمور التي مِن الممكن مِن خلالها تحقيقُ النّسبة ، أو نتيجة تكاسلٍ منهم ، أو لأيّ سببٍ آخر .

ونسبة كتاب الجمل للخليل أو لغيره ليس مجالاً للبحث والدراسة التي بين أيدينا إذ أنّ هذه الأوراق التي أعددتها وما كُتب فيها من صفحات كانت تقتصر على ما احتواه كتاب الجمل من شواهدَ شعريّة فقط أيّاً كان صاحب الكتاب الخليل أو غير الخليل .

وقد رأيت أن أذكر وأستدلّ برأيٍ من الآراء التي ربّما تُرجّح نسبة كتاب الجمل إلى الخليل ، وقد يكون رأيٌ واحدٌ لا يكفي لترجيح كفة الخليل ونسبة الكتاب إليه ولكن كما ذكرتُ فيما سبق إنّ هذه الأطروحة لا تتناول صحة نسبة كتاب الجمل للخليل من عدمها .

فهذا ابن أيبك الصّفدي يرى أنّ كتاباً يمثّل منظومة في النحو نُسِب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) بما فيه مِن مصطلحات ، وبأهميَّته في التأريخ للنحو العربي وتطوُّر مناهج دِراسته والتأليف فيه ، نُسِب لرجلين ، الخليل بن أحمد (ت175هـ)، ولرجلٍ من عمان اسمه أحمد بن مانع بن سليمان بن مدَّاد بن ربيعة بن محمد بن راشد بن صلت بن ربيعة بن أبي غسّان الذي توفّي في القرن التاسع وشتَّان ما بين القرنين الثاني والتاسِع [1]!.

ومهما يكنِ الأمرُ فهذه الظاهرة ليست حكراً على الخليل نفسه أو كتاب الجمل فقط بل إنّ هذه الظاهرة أي : الاختلاف في نسبة النصوص التراثيّة إلى أصحابها صاحبت الكثير من المؤلفين ومؤلفاتهم والطريف في الأمر أنّ الفراهيدي في كتابيه العين ، والجمل إذا جزمنا بنسبتهما إليه كانا من ضمن المؤلفات أو النّصوص التراثيّة التي اختلف الناس فيما بينهم في مدى نسبة هذين الكتابين إلي الخليل .

5-وفاتُه : تُوفي عالمُ النّحوِ واللغة والعَروض سنة سبعين ومائة ، وقيل سنة خمسٍ وسبعين ومائة وهو الأرجح [2] ، وقيل عاش أربعاً وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وقال ابنُ قانع في تاريخه المرتّب على السنين: إنّه توفي سنة ستين ومائة ، وقال ابنُ الجوزي في كتابه المُسمّى (شذور العقود) : إنّه مات سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غلط قطعاً وموته كان بالبصرة عاصمة العلم والعلماء آنذاك وكان سبب موته كما ذُكر أنّه قال : أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البيّاع فلا يمكنه ظلمها ، ودخل المسجدَ وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته ساريةٌ وهو غافلٌ

1- يُنظر الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدي ، دار إحياء التراث العربي ، 2000م ، بلا رقم طبعة : 13 / 241 .

2- يُنظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي : 9 .

عنها بفكره ، فانقلب على ظهره ، فكانت سبب موته وقيل : بل كان يُقطِّعُ بحراً من العَروض [1].

1-يُنظر : وفيّات الأعيان لابن خلّكان : 2 / 248 .

ثانياً – الشّاهد الشّعري

1–توطئة .

2–الشّاهد في اللغة والاصطلاح

3–معنى الاحتجاج .

4–نشأةُ مصطلحِ الشّاهد .

5–مصادرُ الشّعر المُحتَج به .

1-توطئة :

شكّل الشّاهدُ الشعريُّ أساسا مُهماً من أُسس بناء النّحو ، ولَبنةً رئيسةً من لبنات تقعيده فعليه يعتمدُ النحْويُّ في بناء ركائزه وقوالبه العامة ، وهو يُعدّ دليله الرئيس على صواب قاعدة يطرحها ، ويُهيّئ له أجواء القَبول في وسط دَارسي العربية قديماً وحديثاً ، ولكنّه ومع الفائدة الجليّة التي يبعثها في روح النحْو العربي كان ولا زال الشّاهدُ الشّعريُّ يمرُّ بمشاكلَ عِدّةٍ منها على سبيل الذكر لا الحصر : الرواة وعدم الدّقة في النقل ، وما سبّبه الخلافُ النحْويُّ الذي بلغ قمّتهُ عند رُوّاد المدرستين البصْرية والكوفيّة من تحريفٍ وتلفيقٍ شكّل كلٌ منهما عائقاً لا يمكن تجاهله أمام معرفة الحقيقة .

لقد تعدّدت رواياتُ الشّاهد وشكّلت ظاهرةً بارزةً تحتاج إلى الدّرس والتّحرّي ومعرفة التّأثير الذي يمكن أن تتركه على القواعد النحْوية عامة ، وخضعت رواية الشعر العربي بصورة عامة لجملةٍ من الظروف جعلته يتّسم بعدم الدقة في النقل ، يقول ابنُ سلام :" فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والرّوم ولهت عن الشعر وروايته ، فلمّا انتشر الإسلامُ وجاءت الفتوح واطمأنّت العربُ بالأمصار راجعوا رواية الشّعر فلم يؤولوا إلى ديوان مُدوّن ولا كتابٍ وألْفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عليهم منه كثير " [1] ، ومنهم من سعى إلى وضع الشّعر وتحريفه لأسبابٍ ذكرها ابنُ سلاّم بقوله : " فلما راجعت العربُ روايةَ الشّعرِ وذكر أيامها ومآثرها استقلَّ بعضُ العشائرِ شعرَ شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قومٌ قلّت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرّواة بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت " [2] ، وقال ابنُ نباتة : " من فضل النّظم أنّ الشّواهد لا توجد إلا فيه ، والحُجج لا تُؤخذ إلا منه ، أعني : أنّ العلماء والحكماء والفقهاء والنحْويين واللغويين يقولون : قال الشاعر ؛

1- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، دار المدني ، جدة ، تحقيق : محمود شاكر ، بلا رقم طبعة بلا تأريخ نشر : 1 / 25 .

2-المصدر نفسه : 1 / 46 .

وهذا كثيرٌ في الشّعر والشّعر قد أتى به ، فعلى هذا الشّاعر هو صاحب الحجة ، والشّعر هو الحجة " [1] .

ولمّا كان الشّاهدُ النحْويُّ يعتمد أساساً على الشّعرِ العربيّ كان من الطبيعي أن يتأثّر هو الآخر بمشاكل الرّواية والرّواة ، وأن يُصبح النّحاةُ فيما بعد بقواعدهم والخلاف الدائر حول المسائل النّحْوية ؛ عاملاً مُهماً من عوامل التّحريف في الشّعر العربي .

وكما هو معروفٌ لم يكنِ الشعراءُ العربُ منْ قبيلةٍ واحدةٍ وإنّما من قبائلَ متعدّدةٍ ، ورغم ذلك يغلبُ على الشّعرِ المنقولِ مجيؤه باللغة العالية التي كانت تمثّلها لهجةُ قريش لذلك تجدهم يعيبون الشّخص الذي يتكلّم بلهجةٍ من لهجات القبائل المعروفة . "قال معاوية يوماً : من أفصحُ الناسِ ؟ : فقال قائل : قومٌ ارتفعوا عن البيان لخلخانية الفرات ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ليست لهم غمغمة قضاعه ولا طمطمانية حِمْير قال : من هم ؟ قال: قريش قال : ممن أنت ؟ قال : من جرم" [2] ولكنّا مع هذا نجد الكثير من الأشعار وقد جاءت بلهجات قبائلها وكان لها دورٌ مُميّز في تعدّد أو اختلاف رواية الشّعر أو الشّاهد النّحْوي بالمفهوم الخاص ، وبالإضافة إلى ما تقدّم من المشاكل التي واجهت الشّعر بعامةٍ والشّاهد الشّعريّ بخاصةٍ ، نجد كذلك اضطرار النحْوي إلى تحريف الأبيات الشّعريّة يدفعه إلى ذلك الصّراع الدائر بين أرباب المدرستين النحويتين البصْرة والكوفة ، فمن أجل أن يخالف صاحبه ليثبت الجدارة وليحظى بعدها بتأديب أولاد الخلفاء قد يضع شعراً لا وجود له أصلاً ، أو أن يحرّف بيتاً من الشّعر وعليه يمكن القول إنّ النُّحاة كما الرواة ساهموا مساهمةً فعّالةً في تحريف الأدب العربي خدمةً لقضيتهم [3] .

1- الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيّان التوحيدي : 302 – 303 .
2-البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي ، دار صعب – بيروت ، 1968 م ط 1 :491 – 492 .
3- يُنظر: تعدّد رواية الشّاهد الشّعري وأثره على القاعدة النّحْوية لباسم يونس الدويرات ، جامعة مؤتة ، 2004 م بلا رقم طبعةٍ : 36 .

2-الشّاهد في اللغة والاصطلاح :

أ-**الشّاهد لغةً** : اسمُ فاعلٍ من الفعل شَهِدَ ، و(شَهِدَ) أصلٌ يدلُّ على حضورٍ وعلمٍ وإعلامٍ ، لا يخرجُ شيءٌ من فروعِه عن ذلك [1] ، ويقول المفسّرون : شهد بمعنى:(بيّنَ) في حق الله وبمعنى :(أقرّ) في حق الملائكة وبمعنى:(أقرّ واحتجّ) في حق أولي العلم من الثّقلين[2] .

والشهادةُ : "خبرٌ قاطعٌ . تقول منه : شهد الرجل على كذا، وربّما قالوا شهد الرجل، بسكون الهاء للتخفيف ، وقولهم : أشهدُ بكذا ، أي : أحلفُ والمشاهدة : المعاينة. وشهده شهودا أي : حضره ، فهو شاهد . وقوم شهود، أي حضور، وهو في الأصل مصدر، وشهد له بكذا شهادة ، أي : أدّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، والجمع شهد، مثل صاحب وصحْب وسافر وسفر. وبعضهم ينكره. وجمع الشهد شهودا وأشهاد . والشهيد : الشّاهد، والجمع الشهداء. وأشهدته على كذا فشهد عليه، أي : صار شاهدا عليه. وامرأة مشهد، إذا حضر زوجها، بلا هاء. وامرأة مغيبة، أي غاب عنها زوجها ، وهذا بالهاء. واستشهدت فلانا: سألته أن يشهد. وأشهدني إملاكه ، أي أحضرني. والمشهد : محضر الناس .

والشهيد: القتيل في سبيل الله. وقد استشهد فلان. والاسم الشهادة. والتشهّد في الصلاة، معروف. والشاهد: الذي يخرج مع الولد كأنّه مخالط " [3] .

1-يُنظر مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت – لبنان ، 1990 م ، بلا رقم طبعة : 3 / 221 .

2-يُنظر الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1998م ، بلا رقم طبعة : 527 .

3- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط 4 ، 1407 هـ - 1987 م : 2 / 494 .

وفي لسان العرب : " الشّهادة خبرٌ قاطعٌ تقول منه شهد الرجل على كذا وربّما قالوا : شَهد الرجل بسكون الهاء للتّخفيف ، وشهده شهودا أي حضره فهو شاهد وقومٌ شهودٌ أي : حضور وشهد له بكذا شهادةً أي : أدّى ما عنده من الشّهادة فهو شاهد والجمع شهد مثل صاحب وصحب ، وجمع الشّهد شُهود وأشهاد ، والشّهيد : الشّاهد والجمع الشّهداء وأشهدته على كذا فشهد عليه أي صار شاهداً عليه"[1] ويُطلقُ الشّاهدُ في اللغة كذلك على معانٍ عدة منها : الحاضر الذي يحضر الأمر ويشهده [2] ، ومنها اللسان من قولهم : لفلان شاهدٌ حسنٌ ؛ أي : عبارةٌ جميلةٌ"[3] ومنها الملَكُ كما في قول الأعشى :

فلا تحسبني كافراً لكَ نعمةً * عَليّ شَهِيدٌ شَاهِدُ الله فاشهَدِ**

فشاهده اللسان ، وشاهد الله جلّ ثناؤه هو الملَكُ [4] ، ومَشاهِدُ مكةَ : المَواطِنُ التي يجتمعون بها ، وقوله تعالى:﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾[5] الشّاهِدُ : النّبي . صلى الله عليه وسلم . والمَشْهودُ يومُ القيامة ، قال الفرّاءُ : الشّاهِدُ يومُ الجمعة ، والمشهود يوم عرفةَ ؛ لأَنّ الناس يَشْهَدونه ويَحْضُرونه ويجتمعون فيه ، ويقال أَيضاً : الشّاهد يومُ القيامة فكأَنّه قال : واليَوْمِ الموعودِ والشّاهد فجعل الشّاهد من صلة الموعود يتبعه في خفضه [6] .

والشّواهدُ التي يُستشهدُ بها في التّفسير واللغة والنّحْو وغيرها متعدّدة منها : القرآن الكريم ، وكلام العرب نثراً وشعراً ويدخل في النثر الحديث النبوي الشريف والأمثال ، والخُطب وغيرها .

1- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، دار صادر – بيروت ، ط 1 : 3 / 238 – 239 .
2-يُنظر المصدر السابق : 3 / 238 .
3- يُنظر تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور ، تحقيق : محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 2001 م ، ط1: 6 / 49 .
4-يُنظر مقاييس اللغة : 3 / 221 .
5- سورة البروج الآية : (3) .
6-يُنظر لسان العرب لابن منظور : 4 / 2350 .

ب–الشّاهد اصطلاحاً : هو الخبرُ القاطع الموثّق يستعمله اللُّغوي أو النّحْوي أو المُفسِّر مرويًا عن الناطق باللغة موضوع الدراسة ويكون في العربية آيةً قرآنيةً أو بيتاً شعرياً أو حديثا نبويا وهو قولٌ عربيٌّ لقائل موثوقٍ بعربيتهِ يُورَدُ للاحتجاج والاستدلال به على قولٍ أو رأيٍ وهو بذلك يختلف عن المثال الذي يأتي كدليل على القاعدة ، أو ما استُدل به على القاعدة النّحْوية من جملةٍ أو تركيبٍ أو كلمة [1] .

فالشّواهد إنّما سِيقت في الأصل لإثبات صحة القاعدة ، وأمّا الأمثلةُ فيصوغها المصنِّف ليوضّح بها القاعدة ، وتُعدُّ بمثابة الجانب التطبيقي الإيضاحي للقاعدة وليست دليلا على صحتها[2] ، والمثال يعتبر تمهيداً لتوضيح قاعدة ما ، والشّاهد تأصيلي وتوكيدي ، ثم إنّ الشّاهد النّحْويّ أيّاً كان نوعه ينتمي في معظمه إلى العصور التي يُحتجُّ بكلام العرب فيها والتي حدّدها مُعظم القدامى وبخاصة البصْريين منهم ، مع نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة للحضر والقرن الرابع بالنّسبة للبدو ، والتّمثيل في حقيقته يُطلق على ما ليس من كلام العرب من النّصوص . بمصطلح النحاة – متجاوزاً عصور التوثيق للّغة ، أو مصنوعاً للبيان والإيضاح [3] .

وإذا كانت الدّلالة الاصطلاحيّة للشّاهد واضحة المعالم في الأذهان ، ومترجمة على أرض الواقع منذ أن دعت الضّرورة للاحتجاج أو الاستشهاد ، فإنّ الشّاهد كمصطلحٍ لم يكن معروفاً أو مستخدَماً لا من قبل النّحاة ، ولا من غيرهم وبخاصة في القرن الأوّل الهجري بل من الصّعب تحديد الفترة الزمنية التي تمّ فيها استخدام مصطلح الشّاهد وتداوله وإن كانت بعض الروايات تُشير إلى ابن إسحاق واستخدامه لهذا المصطلح اللغوي فقد رُوي أنّ الحجاج سأل سمرة بن الجعد الشيباني بعض الأسئلة منها سؤاله حول روايته الشّعر فردّ ابنُ الجعد بقوله : إنّي لأروي المثلَ والشّاهدَ ، قال : المثل قد عرفناه فما الشّاهد ؟ قال: اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشّعر، فإنّي أروي ذلك الشّاهد فيُقال أنّ الحجّاج بن يوسف الثّقفي

1-يُنظر معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة لمحمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسّسة الرسالة ، دار الفرقان 1985م ط1 : 119 .
2- النّحْو التّعليمي في التّراث العربي لمحمد إبراهيم عبادة ، منشأة المعارف ، بلا تأريخ نشر ، ط 1 : 98 .
3- يُنظر الرّواية والاستشهاد لمحمد عيد : 68 .

اتّخذه منذ ذلك الموقف سميرًا له[1]، وعلى هذا الأساس نجد أئمة اللغة لا يستشهدون ولا يحتجّون على اللغة والنّحْو والصّرف إلا بالشّواهد الموثوق بفصاحتها وإيراد النحويين للشّواهد الشّعريّة للمولّدين من باب التمثيل والاستئناس وتوضيح القاعدة ليس إلا ، ولا تُتّخذُ الشّواهدُ الشّعريّةُ للمولّدين حُجّةً تُقعّدُ بها القواعد النّحْويّة[2].

أمّا في علم المعاني والبيان والبديع فنجد من يستشهدُ بأشعار المولّدين وغيرهم ؛ لأنّ المعاني " ينتابها المولّدون كما انتابها المتقدمون"[3] فالمعاني اتّسعت مع اتّساع النّاس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض[4] .

والشّواهد النحْويّة هي الأساس الذي يقوم عليه النّحْو العربي وأصوله ، ويستوي فيها الشّاذ القليل والكثير، وذلك تبعاً لأوجه الخلاف في مسائل النّحْو وقضاياه بين المدارس المختلفة .

وشواهدُ الشّعرِ نالت نصيبها في الدّرس اللُّغوي وبخاصةٍ عند النُّحاة ، وكان لها الحظ الأوفر ، إذ لا بد لكل نحْويٍّ من شاهدٍ يستشهد به على مسألة من المسائل ليدلّل على رأيه ويُعزّز وجهة نظره أمام الآخرين ويدعم موقفه ، ويتأكد ذلك كلّه إذا كان في المسألة خلافٌ أو كانت خارجةً عن القياس .

لذا كانت شواهد الشّعر أكثر الشّواهد عدداً ، حيث كانت " العنصر الغالب في دراسات النّحاة المتقدمين والمتأخرين من بين مصادر الاستشهاد" [5] ، وقد انصرفت عناية رواة الأخبار المتقدمين إلى حفظ الأشعار المشتملة على الشّواهد والأمثال ؛ لأنّ مدار العلم ارتكز على الشّاهد والمثل ؛ وعليه جعل الجاحظ الشّاهدَ أساسَ علم الأدب ، فقال نقلاً عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : " كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله وكفاك من علم الأدب أن تروي الشّاهد والمثل "[6] ، وإن كانت لفظة الشّاهد عندما تُطلق تتّجه الأفهامُ بصورةٍ عامةٍ إلى الشّاهد النّحْوي غير أنّ الشّاهد مصطلحاً ونهجاً لم يُستعمل فقط في مجال

1- يُنظر مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، 2005م ، ط 1 : 1 / 408 .

2- يُنظر الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم ، د. عبدالرحمن بن معاضة الشّهري ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1431 هـ ، ط 1 : 61.

3- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجّار ،عالم الكتب ، بيروت ، بلا تأريخ نشر بلا رقم طبعة : 1 / 24 .

4- يُنظر العمدة في صناعة الشّعر ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، عني بتصحيحه : محمد بدر الدين الحلبي ، ط 1 ، 1907 م : 2 / 985 .

5- الرواية والاستشهاد باللغة لمحمد عيد : 38 .

6- البيان والتبيين للجاحظ: 1 / 86 .

النّحْو ، بل أُستُعمل في مجالاتٍ أُخرى ومن أهمها المجال الأدبي والمجال النّقدي ووظيفة الشّاهد الشّعري تتمثّل عادةً في الحجيّة والاستدلال ، لذلك نرى هذا الاهتمام من جانب اللغويين العرب بالشّعر فكانوا يحتجّون به في شتّى القضايا اللغويّة ، يقول الخليفةُ عمرُ ابنُ الخطّاب . رضي الله تعالى عنه . : "عليكم بديوانكم لا تضلّوا قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهليّة فإنّ فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم " [1] .

1- مصادر الشّعر الجاهلي لناصر الدين الأسد ، دار المعارف المصرية ، 1988م ، ط 7 : 152.

3-معنى الاحتجاج :

يرى الدكتور سعيد الأفغاني أنّ الاحتجاج – الذي في حقيقته هو الاستشهاد – معناه " إثباتُ صحّةِ القاعدةِ ، أو استعمالُ كلمةٍ أو تركيبٍ ، بدليلٍ نقليّ صحّ سنده إلى عربيٍّ فصيحٍ سليمِ السليقةِ "[1]، ومصطلح الاحتجاج يردُ كثيراً بدل الاستشهاد كقولهم : واحتجّوا بكذا، وهذا لا يُحتجُّ به ، ونحو ذلك ، والاحتجاج : هو تقديم الحجّة ، والحجّة هي البرهان [2] ، فالاستشهاد في حقيقته يتمثّل في إيراد قولٍ منقولٍ عن عربيٍّ فصيح سليم اللسان انطبقت عليه شروط الاحتجاج الزّمانية والمكانية والتي حدّدها العلماء من أجل الاستدلال بقولٍ ما على قضيّةٍ من قضايا اللغة العربية ، فحجج النّحْو هي:"براهينُ تُقام من نصوص اللغة للدّلالة على صحّة رأيٍ، أو قاعدةٍ ، والاحتجاج في النّحْو معناهُ : الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللغة شعراً أو نثراً "[3].

فكلٌّ من الاستشهاد والاحتجاج يؤدّيان غرضاً واحداً ، وربّما يكونان متطابقين يتمثّلُ في إثبات صحة قاعدة معيّنة ، أو استعمال كلمةٍ ، أو تركيبٍ ، بدليلٍ نقليّ صحّ سنده إلى عربيٍّ فصيح سليم السليقة [4] ، وهذا الدّليل النقلي هنا هو الشّاهد الشّعري .

ويُعدُّ القرآن الكريم الرّكن المهم والرئيس من أركان الاستشهاد اللُّغوي بالإضافةِ إلى أحاديث الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – والشّعر والنثر العربيين إلا أنّنا نرى غزارة المادة الشعريّة في معظم كتب اللغة ولاسيما النّحويّة منها فهذا إمام النحاة سيبويه في كتابه الذي يُعدُّ دستوراً لكل النُّحاة جمع فيه سبعمائة وأربعةً وأربعين آيةً وبضعةَ أحاديثَ نبويّة و ألفاً وخمسمائة بيتٍ من الشّعر ، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث حول غلبة الشّعر في الاستشهاد اللغوي عامةً على الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف أو كلام فصحاء العرب ، وإنّما أراد النحْويون أن يثبتوا الحرف

1- من تاريخ النّحو : لسعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، بلا رقم طبعة ، بلا تأريخ نشر: 17 .
2- يُنظر القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، بلا رقم طبعة بلا تأريخ نشر : 234 .
3- الرّواية والاستشهاد لمحمد عيد : 86 .
4- يُنظر من تاريخ النّحو : لسعيد الأفغاني : 17 .

الغريب من القرآن بالشّعر لأنّ الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** ﴾[1] ، ويقول جلّ شأنه في موضعٍ ثان أيضاً : ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾[2] ، وقال ابن عباس : " الشّعرُ ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرفُ من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك ، ثم إن كان ما تضمنّه ألفاظه يوجب العمل دون العلم كفي فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشّعر "[3] .

4-نشأة مصطلح الشّاهد :

يُعدُّ الشّعرُ العربيُّ من أهم أصول الاستدلال على المسائل والأحكام النحْويَّة وقد أكثر النّحاةُ منه في كتبهم ، فقلّما تجد كتاباً نحْوياً ولو كان صغيراً إلا وتجد فيه أبياتا من أشعار العرب ، " فالشّعر ديوان العرب ، وخزانة حكمتها ، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها ، فإذا كان ذلك كذلك فحاجة الكاتب والخطيب وكلّ متأدبٍ بلغة العرب أو ناظر في علومها إليه ماسّة ، وفاقته إلى روايته شديدة "[4] .

وقد بدأ الشّاهدُ الشّعريُّ يأخذ معناه الاصطلاحي قديماً ، حيثُ يُعدُّ المفسّرون أوّل من اتّخذ الشعرَ شواهدَ من أجل فهم غريب القرآن الكريم ، وظهر ذلك على يد عبد الله بن مسعود ، كما في مسائل نافع بن الأزرق لابن عبّاس [5] . وظهرت أهمية الشّاهد الشّعريّ الكبرى في مختلف العلوم اللُّغويّة جميعها وفي علم النّحْو بوجه خاص ؛ لأنّه يمثّل أحدَ أصوله الأساسية وقد كان محقاً مَنْ قال: "إنّ الشّاهدَ في علم النّحْو هو النّحْو" [6] .

1- سورة يوسف: من الآية (2) .
2- سورة الشعراء الآية (195) .
3- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ، بيروت –لبنان ، 1957 م ، ط 1 : 1 / 294 .
4- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر عيسى البابي الحلبي ، 1952 م ط1 : 138 .
5- يُنظر الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرّد ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة 1413هـ ، ط2 : 3 / 1144 ، والشّاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم : 63.
6- نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة لمحمد طنطاوي ، تحقيق : عبد العظيم الشنّاوي ، ومحمد عبد الرحمن الكردي ، 1986م ، ط1: 192 .

وتكمن أهمية الشّعر والاستشهاد به كذلك ، في أنّه يُعدُّ ركناً رئيساً من أركان السّماع لدى علماء اللغة الذين يُعرّفونه بأنّه :" الكلام العربي الفصيح المنقول بالنّقل الصّحيح الخارج عن حَدَّ القلّة إلى حدِّ الكثرة" [1] ، أو "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشَملَ كلامَ الله تعالى وهو القرآن الكريم ، وكلام نبيّه . صلى الله عليه وسلم . وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنةُ بكثرة المولّدين نظماً وشعراً "[2].

وتنبع أهميّة السّماع من كونه الأصل الأوّل من أصول النّحو الثّلاثة : السّماع والقياس والإجماع والاستصحاب[3]. فيُحتجُّ به لإثبات قاعدة نحْويّة أو صحة استعمال لفظة أو تركيب ، وهذا الكلام الفصيح هو الذي أُطلق عليه (الشّاهد) [4].

ويُذكر أنّ الفرزدقَ لمّا ردّ عليه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي بيتاً من شعره ولحّنهُ فيه قال له : والله لأ هجونّك ببيتٍ يكون شاهداً على ألسنة النّحْويين أبداً [5].

فهجاهُ بقوله :

فَلَو كانَ عبدُ اللهِ مَوْلىً هَجَوتُهُ * ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَاليا** [6].

فالمحصّلة أنّ الشّاهدَ الشّعريَّ أصبح يحمل المعنى الاصطلاحي الدقيق في الاحتجاج اللغوي والنحْوي في القرن الثّاني الهجري وما بعده ، في أقدم كتابٍ نحويٍّ معروف بالإضافة إلى كتب إعراب القرآن ومعانيه للفرّاء والأخفش .

1- الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النّحو لأبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري ، قدّم له وحقّقه : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السوريّة ، 1957 م ، بلا رقم طبعة : 45 -81 .

2- الاقتراح في أصول النّحو لجلال الدين السيوطي ، قرأهُ وعلّق عليه : د . محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، 2006م ، بلا رقم طبعة : 74.

3- يُنظر : المصدر السابق : 14 .

4- يُنظر : النّحو العربي مذاهبه وتيسيرهُ ، تأليف : د. محمد جيحان الدليمي ، و د. محمد صالح التكريتي و د. عائد كريم علوان ، كلية التّربية بجامعة بغداد ، 1992 م ، بلا رقم طبعة : 24 . .

5- مراتب النّحْويين لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة القاهرة ، 1974 م ، بلا رقم طبعة : 31 .

6- مواليا الألف للإطلاق وجمهور العرب يقول : مررت بجوارٍ ومولى موالٍ بحذف الياء والتنوين في الجر والرّفع وأمّا في النّصب فلا تحذف الياء بل تظهر الفتحة عليها نحو : رأيت جواري والمراد بجوارٍ ما كان جمعا على هذا الوزن معتل اللام . يُنظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، إميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – 1998م ، بلا رقم طبعة : 1 / 234

وقد أصبحت كلمةُ الشّاهدِ فيما بعد تتّخذُ معنىً عُرفيّاً ، إذ بمجرد سماعها ينصرفُ الذّهنُ إلى الشّاهدِ الشّعري دون غيره من الشّواهد الأخرى ، وكان للنُّحاة دورٌ كبيرٌ في إكساب هذه اللفظة هذا المعنى [1].

واشترط علماءُ اللغةِ والنّحوِ معرفةَ قائلِ الشّاهد فلا يجوز الاحتجاجُ بشعرٍ أو نثرٍ لا يُعرف قائله مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً ، أو لمُوَلَّد ، أو لمن لا يُوثَق بكلامه [2] ، وقد ردَّ النّحاةُ الكثيرَ من الشّواهدِ الشّعريّةِ لعدم معرفة قائليها إلا أنّنا لو تتبّعنا الشّواهدَ الشّعريّةَ في كتب النّحاة ومؤلّفاتهم ، فلا نكاد نجد كتاباً نحْوياً واحداً مهما كان حجمه يخلو من الشّواهد المجهولة القائل ولكن تبقى مسألة معرفة قائل الشّاهد أمراً لابَّد منه ؛ لأنّه يؤدّي إلى حصر اللغة وحفظ قوانينها وأنظمتها ويمنع الانفلات والخروج عنها ، ما يجعل اللغة فوضى ليس يحكمها ضبط أو نظام إذ قد يَستشهد من لا يهتم بذلك بما يحلو له من كلام سواء أكان لعربي أم لغيره من العجم ، وما أظن أنَّ النّحاة أغفلوا ذلك أبداً ، بل تحرّوا ما وجدوا إليه سبيلا [3].

5-مصادر الشّعر المُحتَج به :

1- يُنظر الرّواية والاستشهاد لمحمد عيد : 124 .
2- يُنظر : خزانة الأدب للبغدادي : 1 / 15 ، والإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري ، دار الفكر ، دمشق ، بلا رقم طبعة ، بلا تأريخ نشر : 2 / 456 .
3- يُنظرالنّحو وكتب التفسير لإبراهيم عبد الله رفيدة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ليبيا ، 1982 م ط 1 : 1 / 224 .

المرادُ بكلام العرب المُستشَهد به ؛ كلامُ القبائل العربية الموثوق بفصاحتها وصفاء لغتها في الجاهليّة والإسلام إلى أن فسدت الألسنةُ بالاختلاط مع الأعاجم وفشا اللحن بين النّاس ، "وأجمَعَ علماؤنا بكلام العرب ، والرُّواةُ لأشعارهم والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أن قُرَيشاً أفصحُ العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً . صلّى الله تعالى عَلَيْهِ وسلّم . فجعل قُريشاً قُطَّان حَرَمِه وجيران بيته الحرام ، ووُلاتَهُ ، فكانت وُفودُ العربِ من حُجاجها وغيرهم يَفِدون إِلَى مكةَ للحج ويتحاكمون إِلَى قريش فِي أُمورهم ، وَكَانَتْ قريش تُعلّمهم مَناسكَهم وتحكُمُ بَيْنَهم ، ولم تزل العرب تَعرِف لقريش فضلها عليهم وتسمّيها أهلَ الله ؛لأنّهم الصَّريح من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السلام ، لَمْ تَشُبْهم شائبة ، وَلَمْ تنقُلْهم عن مناسبهم ناقِلَة ، فضيلةً من الله . جلّ ثناؤه . لهم وتشريفاً ، إذ جعلهم رَهط نبيّه الأدْنَيْنَ وعِتْرته الصالحين " [1].

وكانت قريشُ أجودَ العربِ انتقاءً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النّطق بها، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانةً عمَّا في النّفس ، والذين عنهم نُقلت اللغةُ العربيةُ ، وبهم اُقتُديَ ، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه ، وعليهم اتّكل في الغريب ، وفي الإعراب [2] .

" وارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجّع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء . فأمّا عنعنة تميم فإنّ تميما تقول في موضع أن : عن ، تقول : عن عبد الله قائم " [3].

لذلك كلّه ذهب النّحاة واللغويون إلى البادية ليجمعوا اللغةَ ، ويلتقطوا ما تبقّى من أفواه العرب الضاربين أوساط شبه جزيرة العرب وأطرافها ، فأفرغوا ما حملوا من حبر وصحف ، وأتخموا ذاكرتهم بما حفظوا ، فمنهم من أمضى أربعين سنة في البوادي يشافهُ الأعرابَ ، ويدوّن ويلاحظ ما شاء له أن يلاحظ قبل أن يعود إلى بلده ، ولقد

1-الصّاحبي في فقه اللغة لابن فارس : 1 / 7.

2-ُينظر : المزهر في علوم اللغة لعبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تحقيق : فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1998م ، ط 1 : 1 / 167 .

3-الخصائص لابن جني : 2 / 11

جعل علماء اللغة حدوداً زمانيّةً ومكانيّةً لقَبول الشّاهد اللغوي ومنها الشّاهد الشّعري متوخّين بذلك السّلامة في لغة المحتج بكلامه وعدم تطرّق الفساد إليها كي تُتاحَ لهم فرصة التمييز بين الدّخيل والمشهور والشاذ ، والمُستعمَل والمُهمَل ، وحدّد أهلُ اللغةِ دائرةً زمنيةً ومكانيّةً يمكن من خلالها الاعتماد عليها لاستنباط الشّواهد أيّاً كان نوعها شعريّةً أو نثريّةً وعلى ضوء ذلك قسّموا الشعراء إلى طبقاتٍ أربعٍ تخضعُ للتّرتيب الزّماني[1] وكانت على النّحوِ التّالي :

الطبقة الأولى: الشّعراء الجاهليون ، وهم من عاش في الجاهليّة ولم يدركوا الإسلام ؛ كامرئ القيس ، والأعشى .

الطبقة الثانية : المُخضْرَمون ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ؛ كلبيد وحسَّان.

الطبقة الثالثة: المتقدّمُون، ويقال لهم : الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام ؛ كجرير ، والفرزدق .

الطبقة الرابعة: المولَّدون، ويقال لهم : المُحْدَثون ، وهم من جاؤوا بعدهم ؛ كبشَّار وأبي نوّاس .

فالطبقتان الأُوليان يُستشهَد بشِعرهما إجماعًا ، وأمّا الثّالثة فالصّحيح صحَّة الاستشهاد بكلامها ، وإن كان ابن العلاء وابن أبي إسحاق والحسن البصْري و ابن شبرمة يُلْحِنُون الفرزدقَ والكميتَ وذا الرمة وأضرابهم وكانوا يعدُّونهم وأضرابهم من المولّدين ؛ لأنّهم كانوا في عصرهم والمعاصَرةُ حجاب[2]، وأمّا الرّابعةُ فالصّحيح أنّه لا يُستشهد بكلامها مطلقًا ، وقيل: يُستشهد بكلام مَن يُوثَق به منهم واختاره الزّمخشري[3]. ، وتبعهُ الرّضي[4]، فقد استشهد كلٌّ منهما بشعر المولَّدين واقتصر بعضُ العلماء كأبي عمرو بن العلاء على الأخذ من الجاهليين والمخضرمين دون غيرهم [1]، ثمّ جاء الأصمعي ليوسّع الإطار الزّمني للاحتجاج فشمل جريرًا والفرزدق

1-يُنظر المُزهر للسيوطى : 2 / 489 ، وخزانة الأدب للبغدادي : 1/ 8 .
2-يُنظر خزانة الأدب للبغدادي : 1 / 30.
3-يُنظر الكشّاف لمحمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت – لبنان 2009م ط 1 : 1 / 65 .
4-يُنظر شرح الكافية الشّافية لجمال الدّين أبي عبد الله محمد بن مالك ، تحقيق : د . عبد المنعم أحمد هريري مكتبة الثّقافة الدّينيّة ، مكة المكرّمة ، بلا تأريخ نشر ، بلا رقم طبعة : 1 / 203 - 211 .
1-يُنظر خزانة الأدب للبغدادي : 1 / 6 .

والأخطل حتى زمن إبراهيم بن هرمة تـ 150 هـ فعدّ ابن هرمة آخر الشّعراء الإسلاميين المُحتَج بشعرهم [2].

وممّا يجدر قوله إنّ شعراءَ الطبقة الرابعة لا يُحتجُّ بكلامهم للغرض اللفظي مطلقاً وجعلوا من بشّار بن برد على رأس المحدثين غير المحتج بكلامهم رغم أنّ سيبويه استشهد ببعض شعر بشّار في كتابه وعلّلوا ذلك اتقاءً للسانه لتركه الاحتجاج بشعره فأراد التّقرّب إليه[3]،أمّا بالنّسبة للشّرط المكاني أو الدائرة المكانيّة فقد اختلفت القبائلُ المأخوذ عنها والمحتج بشعرها بحسب قربها أو بعدها عن الاختلاط بالأمم المجاورة ، فاعتمدوا كلام القبائل الواقعة في قلب الجزيرة العربية وردّوا كلام القبائل التي على السّواحل ، أو في الحواضر ، أو في جوار غير العرب من الأمم الأخرى ، فأجودُ العربِ انتقاءً للأفصح هم قريش ويليهم قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يُؤخذ من غيرهم من سائر القبائل ، وذلك لأسباب المخالطة مع الأمم الأخرى الشيء الذي يترتّب عليه اختلاط لغتهم بغير لغة العرب وبالتّالي الخوف من الدخيل والغريب والشاذ وعلى هذا الأساس تمّ استثناء مجموعةٍ من القبائل العربيّة كتغلب والنّمر والقبائل المجاورة لأهل مصر والقبط كلخم وجُذام ، والقبائل المجاورة لأهل الشّام كقضاعة وغسّان وإياد ، والقبائل المجاورة للنّبط والفرس والهند والحبشة كبكر وعبد القيس وأزد عمان وأهل اليمن ، والقبائل المخالطة لتجّار الأمم المقيمين عندهم كبني حنيفة وسكّان اليمامة وثقيف وسكّان الطّائف وحاضرة الحجاز[4].

وبالنّظر إلى أسماء هذه القبائل نجد سيبويه قد خالفها فاستشهد بشعراء من ثقيف وعبد القيس وتغلب وقضاعة وبكر ، فمن ثقيف أميّة بن أبي الصلت ، وأبو محجن الثقفي ، ومن عبدالقيس المفضّل البكري وزياد الأعجم والأعور الشني والصلتان العبدي ، ومن تغلب الأخطل وكعب بن جعيل والقطامي ، ومن قضاعة عدي بن الرقاع ، ومن بكر المسيّب بن علس ونهار بن توسعة [1] .

2-يُنظر الاحتجاج بالشّعر في اللغة لمحمد حسن حسن جبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986 ، بلا رقم طبعة : 79 .

3-يُنظر خزانة الأدب للبغدادي : 1 / 31 .

4- يُنظر عصور الاحتجاج لمحمد عبادة ، دار المعارف 1980م ، بلا رقم طبعة : 172 – 173 .

1- يُنظر الرّواية والاستشهاد لمحمد عيد : 200 - 202 .

أمّا إذا نظرنا إلى الأمر من ناحية المدارس النحْويّة فقد وجدنا أنّ دائرة الاحتجاج تضيقُ تارةً وتتّسعُ أخرى بحسب أفكار هذه المدرسة أو تلك ، فالمدرسةُ البصْريّةُ مثلا تشدّدت كثيراً في رواية الأشعار وبقيّة الشّواهد واشترطوا فيها أن تكون جاريةً على ألسنة العرب ، وكثيرة الاستعمال في كلامهم بحيث تمثّل اللغة الفُصحى خير تمثيل ، أمّا أصحاب المدرسة الكوفيّة فقد توسّعوا في الرّواية عن جميع العرب بدواً وحضراً ، واعتدّوا بأقوال المتحضّرين من العرب وأشعارهم ممّن سكنوا حواضر العراق ، واعتمدوا الأشعار والأقوال الشّاذّة التي سمعوها من الفُصحاء العرب ووُصفت من جانب البصْريين بالشّذوذ ، أمّا بعضُ أعلام المدرسة البغداديّة فقد توسّعوا في الأخذ والاستشهاد بأشعار الطّبقة الرّابعة كالزّمخشري الذي استشهدَ بشعر أبي تمّام [2] ، كما استشهد متأخرون ، واحتجّوا بلغة لخم وجذام وغسّان ، كابن مالك الذي اعترض عليه أبو حيّان في شرح التسهيل [3] .

لقد اعتمد النّحاة واللغويون في أخذ اللغة وشواهدها على القبائل السّاكنة في بوادي وسط جزيرة العرب ، فلم يأخذوا من سكّان الحضر، ولا من سكّان أطراف الجزيرة العربية ؛ بحجة أنّهم اختلطوا بغيرهم من الأمم الأخرى ؛ فاختلطت لغاتهم ببعض، فضعفت لغتهم وفسدت ألسنتهم ، وكان الأَعرابُ بصفةٍ عامةٍ مصدراً مُهمّاً ذهب إليهم رواة اللغة حيثما كانوا وأينما وُجدوا ، وأوثقهم أعرابُ الباديةِ الذين بعدوا عن الحاضرة ، ولم تتأثّر ألسنتهم بما يُفسدها [4] .

ويمكن القول إنّ الشِّعرُ الذي يُحتجُّ به هو الشِّعر الجاهلي والشِّعر الإسلامي والعلماء حدّوا حدوداً زمانيّةً ومكانيّةً لا يمكن تجاوزها عند الاستشهاد .

وليس معنى ذلك أنّ الشّعراءَ بعد ذلك التّاريخ أو في غير المناطق التي حصروها أو حدّدوها ليسوا بشعراء ، أو أقلّ كفاءةً ومقدرةً في نظم الشّعر من غيرهم ، فهم في الحقيقة يقولون شعرًا فصيحًا ربّما ينافسُ من كان قبلهم ؛ لكن اختلاطهم بغيرهم من

2- يُنظر الكشّاف للزمخشري : 1 / 86 .
3- يُنظر الاقتراح للسيوطي : 48 .
4-ينظر مقدمة الأعراب الرواة ، د .عبدالحميد الشلفاني ، المنشأة العامة للنّشر والتوزيع والإعلان طرابلس – ليبيا ، 1982م ط 2 : 8 .

العجم ودخول بعض الكلمات الغريبة جعل من لغتهم الفصيحة وسليقتهم تتعرّضُ للعدوى بغيرها ، لذلك كان اللحنُ أكثرَ سرياناً بين ألفاظهم وقصائدهم ، والشّعرُ الذي أصحابه عربٌ خُلّص ولم يختلطوا بغيرهم ، لا يعرفون إلا اللغة السّليمة التي لم تشبها شائبةٌ فلا مجال للّحن بينهم ؛ لأنّه ليس عندهم إلا هذا الكلام الذي وُلدوا وعاشوا وتربّوا عليه .